



المنظومة الإسمية للأماكن بالغرب الإسلامي

مباحث في أثر طوبونيمات الصنائع والحرف

The nominal system of places in the Islamic West

Investigations into the impact of toponymie on industries and crafts

د. إسماعيل بركات

جامعة محمد بوضياف . المسيلة

ismail.barkat@univ-msila.dz

ط/د. صباح طرهيوة

جامعة محمد بوضياف . المسيلة

sabah.terhioua@univ-msila.dz

الملخص باللغة العربية

تحاول هذه الورقة البحثية البت في موضوع الحضور الحرفي على مستوى ضبط الأماكن المعرفة بأسماء النسبة استناداً إلى المدون التاريخي والجغرافي والفقهي الواصف له عبر حقبة الوسيطية المختلفة، وأدبيات العصر الوسيط، وما يمدنا به الواقع العياني المجتمعي وديناميكيته من تنوع الصناعات الحرفية بتنوع أصناف صناعاتها الذين ساهموا في تغطية أسواق المدن، وقوة الروابط الحرفية فيما بينهم التي افترضت قيام نشاط تجاري، أمكن من خلاله لتخريجات الأبحاث الفكرية إعادة إنتاج المصطلح وتشحين مضامينه، في محاولة منها لاستقراء المنظومة الاسمية لطوبونيميا المكان في مباحث التاريخ الاجتماعي والثقافي للغرب الإسلامي، وهو ما تحاول تفعيله هذه الدراسة من خلال رسم معالم ما أسهمت به المصادر المعتمدة من درجة الاستفادة استقراءً وتحليلاً، في البحث عن دواعي التسميات وأسبابها ودلالاتها بمقاربات تاريخية استقرائية من شأنها إعطاء تصورات جديدة لكل العلاقات الإنتاجية ومدى انعكاساتها على البنية الفكرية.

الكلمات المفتاحية: المنظومة الاسمية، طوبونيميا، الغرب الإسلامي، الصنائع، الحرف

Abstract:

This research paper attempts to decide on the issue of craft presence at the level of controlling places defined by relative names based on the historical, geographical and jurisprudential record describing it throughout the various medieval eras, and the literature of the medieval era, and what the concrete societal reality and its dynamism provides us with in terms of the diversity of craft industries with the diversity of the types of their makers who contributed to The coverage of the city markets, and the strength of the craft ties between them that assumed the establishment of a commercial activity,



through which the graduates of intellectual research were able to reproduce the term and sharpen its contents, in an attempt to extrapolate the nominal system of the toponymy of place in the investigations of the social and cultural history of the Islamic West, which is what this study attempts to activate by While delineating the features of what the approved sources have contributed in terms of inductive and analytical use, in searching for the motives, causes, and implications of the designations using inductive historical approaches that would give new perceptions of all productive relations and the extent of their repercussions on the intellectual.

Keywords: The nominal system, toponymy, the Islamic West, crafts, and crafts.

مقدمة

شكّل الصّناع وأهل الحرف النسبة الكبيرة بين مجموع العامة بمدن الغرب الإسلامي في عصره الوسيط، وفشت النسبة إلى المهنة، وزاحموا الألقاب التي رسمت المسافة البينية بين الخاصة والعامة، واقتربت حرفهم بأكثر من اسم نسبة واحدة، ذلك أن شدة الطلب على الصنائع دليل على ترف المصر وكثرة عمرانها، وشدة حاجة المدينة إلى هؤلاء الصناع، فجمعت ألقابهم بين المكان والقبيلة والمذهب والأسرة وغيرها من صيغ أخرى تنوعت باختلاف كل فرد في حرفة ما، رغم ما تردد بين مصنّفات الحسبة والنوازل من وصف واحتقار على جانب من الخسة والوضاعة والردالة لها.

ولما كانت مهنتهم الحرة ضرورية من خلال معاش الإنسان ومن بين طلبات الدولة أو السوق الأعظم؛ فالصرافة كانت مرتبطة بالحياة التجارية والمعاملات، والتراسة كانت توفر الأتراس للجنود والحراس، والنخاسة كانت سوقاً كبرى للعبيد وأسرة القرصنة، والقصابة من الحرف التي تحتاجها كل مدينة، فمثلت تلك الحرف فئات واسعة، ودلت على أن أصحابها لم يمثلوا قلة لخساسة مهنتهم، بل كانوا عددياً ذوي وزن، مما جعل من حياتهم طبقة لها أبعادها الاقتصادية والعلمية والدينية والسياسية، ولها خصوصيتها الاجتماعية.

وفي استقراءنا لأنواع المهن التي وردت في ثنايا كتب التراجم والطبقات والجغرافيا والرحلات لفضاء الغرب الإسلامي، ما يفيد التفاصيل عن أصنافها، ووضع كل صناعة في مكانها يسهل على الوالي أو صاحب السوق مراقبتها، لكنها لم تكشف عن أسماء أماكن نسبتها من حيث التعريف والأهمية، وما تحمله تلك النسبة من دلالات تتعلق بالواقع الاجتماعي، الذي يمكن من خلاله رسم بعض معالم طوبونيمات تحيل إلى مهن.

وهو ما اقتضى منا من خلال هذه الدراسة ضرورة الاستيعاب الموضوعي لفهم النسبة وأثرها على اسم المكان الذي هو المجال الوحيد المستوعب لهذه الفئة الفاعلة بمختلف أبعادها ودلالاتها، والذي يطرح إشكالية مقارنة نصوص مصادرها والتوفيق بينها من أجل ضبط تلك الصورة الطوبونيمية، وتقصي أنماط حضورها النسبي على مستوى منظومة الهوية للأسماء المكانية، فما هي الدلالات الموضوعية والواقعية التي تضيف مختلف أنماط الحضور النسبي للطوبونيميا المتعلقة بمنظومة الهوية الإسمية لمختلف الأمكنة بالغرب الإسلامي؟

أملت الدواعي المنهجية أن تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي في ترصد طوبونيمات أسماء المواقع والأماكن المرتبطة بأثر الأنشطة الحرفية وتنظيماتها، وفق خطة ثنائية: استدعى أولها الحضور الطوبونيمي التاريخي في المصادر على

مستوى المفاهيم والتوظيف ضمن سياقه التاريخي والجغرافي، وتقصى الثاني أنماط المتغيرات الطوبونيمية بناءً على أثر الصنائع والحرف في تحديد اسم المكان وموقعه وتمييزه عن غيره من الأماكن.

2. مجرى المفاهيم (الماهية والغايات):

يعد البحث في الطوبونيميا ¹Toponymie، بما هي أداة تهتم بأسماء الأماكن أو الأعلام الجغرافية أيًا كان مصدرها وتاريخها ومكانها، وبما هي انفتاح على قضايا قديمة برؤية جديدة تعطي الأولوية للاسم وأصله ضبطاً ودراسة وتفسيراً ليست مفصولة البحث عن العلوم الأخرى، خاصة تلك التي لها علاقة بالبحث التاريخي، والاعتماد عليها لفهم الحلقات المفقودة من التاريخ خطوة لها نتائج هامة، ذلك أنه لا يمكن أن تتصور تاريخاً بدون مكان.

فيمكن القول بأنها بحث في تاريخ أهل الصنائع الذي يقاس به نمو المدينة وملاباساتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية²، ذلك أن الواقعية تستهدف جهودهم وتنظيماتهم وتكتلاتهم، وأن « صناعتهم نسب »³، وما تحملها من دلالات تتعلق بالواقع الاجتماعي من جهة، والوضع الشخصي لصاحب الصنعة من جهة أخرى، في إشارة إلى فئة اجتماعية محددة لها مداها الجغرافي ضمن أطر سياسية واجتماعية وتقلبات تاريخية سائدة في فترة ما، لتقدم لنا مادة علمية خصبة لا تنضب أبداً لاعتنائها بالجانبين اللغوي والتاريخي⁴.

3. أثر الصنائع والحرف في تأصيل أسماء الأماكن بالغرب الإسلامي (التفشي والاشتقاق):

يظهر في التحول الطوبونيمي لأسماء الأماكن الذي عرفه الفضاء الجغرافي بالغرب الإسلامي، إلى منظومة جديدة مستوحاة من وجوه المعاش الإنساني، تقديم الصنائع وتبجيل عملهم الذي تقره الشريعة الإسلامية على مستوى النظر إلى

¹ لغة؛ تأخذ معناها من كلمتين الأولى طوبو « Topos » التي تعني المكان، وأنوما « onuma » التي تعني الاسم، ومنه الطوبونيميا « علم دراسة الأماكن »، والبحث في معناها وتفسيرها ورسم تحولاتها على مر العصور وتحديد قيمتها الترابية والفكرية وملاحم التغيير في أنساقها اللغوية. ينظر: إياد مهدي السلامين وإخلاص خالد الفنانون، الطوبونيميا البسيطة دراسة في أسماء المواقع الجغرافية في ضوء المصادر التاريخية، مطبعة السفير، عمان، 2021، ص 15.

أما اصطلاحاً؛ فتشكل أحد فروع الأونوماستيكا onomastiques، والذي يعني بدراسة أصول واشتقاقات وجذور أشكال أسماء الأشخاص والأماكن، حيث يدخل موضوع الطوبونيميا ضمن فروع علم اللسانيات الذي استفادت منه الجغرافيا التاريخية، وتفسير الكثير من القضايا المتعلقة بتاريخ المجالات والمواقع، من خلال معرفة الإطار التاريخي المتعلق بمدلول الأسماء وأسماء الأماكن، التي تمثل أقدم جانب من الجوانب الحية للتراث الثقافي الإنساني. ينظر: بوتولف هيليلاند، القيم الاجتماعية والثقافية للأسماء الجغرافية، ضمن كتاب « دليل توحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الوطني »، منشورات إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة، نيويورك، 2007، ص 111. محمد أمين إدريس، إشكالية ترجمة الأسماء الواقعية من منظور استراتيجي، التدجين والتغريب في الترجمة "، *longuages ant letterature modern*، جامعة معسكر، الجزائر، ع 4، 2012، ص 128. بن جبار بلعيد ويحيوي عامر، تسمية المساجد بالجزائر من خلال خرائط المعهد الوطني، أعمال الملتقى الأول « المعجم الطوبونيمي الرقعي في الجزائر »، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2021، ص 77.

² ذلك أن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقضت منها الصنائع، ورجعوا إلى الاقتصار على الضروري في أحوالهم. ينظر: ابن خلدون أبي زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1405م)، المقدمة، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط 1، 2004، ص 91.

³ الجاحظ، البخلاء، دار صادر، بيروت، ص 47، 48.

⁴ محمد أمين إدريس، المرجع السابق، ص 118.

الأنشطة الاقتصادية، فالصناع يعملون بأبدانهم وأدواتهم في مصنوعاتهم الصور والنقوش، والأصباغ والأشكال، وغرضهم طلب العوض عن مصنوعاتهم لصالح معيشة الحياة الدنيا، فأصبحت الحرفة مع صاحبها أكثر صلابة، وقد وقع أثرها في أغلب الأحيان بفضل التكتل الجماعي على مستوى المكان.

وعلى مستوى اقتصادي عميق عرف المشهد الجغرافي بالغرب الإسلامي عديد التحولات، بفعل البصمات التي تركها الصناع وأهل الحرف، وهي النزعة التي وقع تدعيمها من طرف السلطة تحت لقب « الطواف »، و« النفال »، و« المنادي » في السباط الكبير، على خلاف المهن الحرة التي شكلت التكتل داخل القبيلة أو المدينة الواحدة التي تربط الحرفيين وأهل الصنائع فيما بينهم، فظهرت الألقاب باسم « الدباغ » و« الخياط » و« الكناس » و« الزيات » و« النعال » و« القصار » و« النجار » وغيرها.

وتأثرت المواقع والأماكن بهم، وشاع هذا النوع من الأسماء كثيراً في تلك الفترة بسبب تلبية حاجيات المجتمع الذي حققته مختلف حرفهم وصناعاتهم، حيث شكلت الورش والأسواق في أزقة المدن وحراراتها وحتى على أطرافها محور نشاطهم، ذلك أن العديد من التسميات التي لقيت بها أسماء المدن والقرى والأسواق، وأبواب المدن والأحياء والدروب، وحتى التكوينات المعمارية؛ كالمساجد والحمامات والمدارس والدكاكين والأسواق، وغيرها من أسماء الأماكن المأخوذة من أثر الصناع وحرفهم.

3.1. أسماء أبواب المدن والقرى:

من أبواب المدن التي أخذت اسمها من اسم بعض الحرف نجد في تهرت الرستمية « باب المطاحن »⁵، وفي بجاية الحمادية نجد تسمية « باب الدباغين » كإحدى أبواب بجاية حيث يسمي بهذا الاسم لقيام صناعة الدباغة في جوار ذلك الباب⁶، وهذا ما يدل على تواجد هذه الحرفة خارج أسوار المدينة نظراً لما تسببه من أضرار وروائح كريهة، لذلك أبعدت عن التجمعات السكانية.

وبتلمسان الزبانية نجد « باب القرميدين »، أو « القرمادين » الذي يقع في الشمال الغربي من تلمسان⁷، والذي يؤدي إلى « حارة القرميدين »⁸، حيث كانت توجد بالقرب من الباب أفران لصناعة القرميد والأجر والفخار والخزف وهذا ما أعطى الباب اسمه⁹.

⁵ البكري أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب (ت 487هـ / 1094م)، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص 66.

⁶ الغبريني أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت 704هـ / 1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 50.

⁷ عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، ط 1، 2002، ص 113.

⁸ موسى لقبال، الحسبة المذهبية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1971، ص 82.

⁹ ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حياً سنة 1014هـ / 1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1908، ص 69.

وأما في الأندلس فإن أحد أبواب غرناطة كان يعرف بـ «باب البنود» وهو بربض البيازين¹⁰، قال عنه عنان عبد الله: «لا يزال قائماً حتى اليوم»¹¹، و«باب الفخارين»¹²، لأن موقعه كان يقع باتجاه قرية الفخار شمالي المدينة، ويسمى الموضع اليوم «Alfacar»¹³، و«باب الطفالين» في مدن طليطلة وغرناطة، ويؤدي إلى حارة مُحضري الطفل، و«باب الفخارين» و«الطوابين» في غرناطة ويؤدي إلى حارة صانعي الفخار والطوب، و«باب الزيتين» في مدينة ألمرية الذي يؤدي إلى حارة بانعي الزيت¹⁴، و«باب العطارين» بمدينة قرطبة¹⁵.

وقد يكون خاصاً بأولئك المتجرين يومياً في المنتجات الغذائية فيسمى «باب السويقة» كما في أستجة وطلطلة وتلمسان¹⁶، و«وادي السقائين» بالجزيرة الخضراء¹⁷، وقد تسمى بهذا الاسم من كثرة جر الماء منه للمدن¹⁸، كما تأثرت العديد من أسماء المدن والقرى بالمغرب الإسلامي بحرفة التجارة وإقامة الأسواق الأسبوعية التي كانت تنعقد بها، حتى أنها أصبحت تعرف باسمها، كـ «مدينة سوق إبراهيم» وهي مدينة صغيرة تتواجد على نهر الشلف¹⁹، و«مدينة سوق حمزة» التي تعرف اليوم باسم «البويرة»، و«قرية سوق هواة»، و«قرية سوق كرام» على نهر الشلف²⁰.

¹⁰ العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت 749هـ / 1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، القسم الخاص بإفريقيا والمغرب والأندلس، توزيع سوشبريس، المغرب، 1988، ص 41.

¹¹ محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال. دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1997، ص 168.

¹² ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (ت 776هـ / 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه: محمد عبد الله عنان، ج 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1973، ص 194.

¹³ محمد البركة، المرجع السابق، ص 89.

¹⁴ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 82.

وليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: السيد محمود عبد العزيز السالم وآخرون، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1990، ص 66.

¹⁵ ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري (ت 578هـ / 1132م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ج 2، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 2010، ص 449.

¹⁶ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 65.

¹⁷ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1964، ص 298، 304.

¹⁸ محمد البركة، المرجع السابق، ص 91.

¹⁹ ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت حوالي 368هـ / 978م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 89. المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 380هـ / 990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 217.

²⁰ المقدسي، المصدر السابق، ص 218. البكري، المصدر السابق، ص 60، 61.

ويراجع: رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 117.

ومن القرى من أخذت اسمها من اسم اليوم الذي ينعقد فيه السوق الأسبوعي، مثل «سوق الاثنين»، و«سوق الخميس» على الطريق التي تؤدي من بجاية إلى قلعة بني حماد²¹، ولا تزال العديد من الأماكن تحتفظ بالتسميات التي عرفت بها من خلال انعقاد السوق الأسبوعية بها إلى اليوم.

3.2. أسماء الأحياء والدروب والأزقة والأسواق الداخلية للمدن:

عرف النشاط الحرفي بالغرب الإسلامي تنظيمًا محكمًا للأسواق والساحات والأزقة، تجلّى في شكل طوائف بحيث كان لكل حرفة مكان مخصص ومناسب لها، فقد كانت الدكاكين والحوانيت التابعة لأرباب الصناعة والتجارة مرتبة ترتيبًا جيدًا، حتى أصبحت هذه الأماكن تعرف حسب البضائع والسلع المصنعة²² التي تباع فيها، مع مراعاة مسألة التنظيم بإخراج الأسواق التي تنطلق منها أصوات مزعجة، أو روائح كريهة، أو قاذورات من داخل المدينة إلى خارجها أو عند أبوابها²³. وفي اعتقادنا أن هذا التنظيم المحكم لأسواق الحرف والصناعات عامل مهم، بحيث ساعد على تثبيت الاسم على المكان، ولا تزال الذاكرة الشعبية لبلاد الغرب الإسلامي تحتفظ ببعض أسماء الأماكن المرتبطة بالأنشطة الاقتصادية داخل المدن، والتي دلت على قيام حرف وصناعات في المجال، فكان لكل صناعة من هذه الصناعات أحياء خاصة بها تتخذ عادة اسم الحرفة التي توجد فيها، كما تؤدي إليها أبواب خاصة تعرف غالبًا باسم الحرفة القريبة منها²⁴. وقد اشتهرت عدة أحياء ودروب بأسماء حرف وتجارات نشطت بها آنذاك مثل «درب القبايين» في تلمسان الزيانية²⁵، نسبة إلى صناعة القبقاب به، و«درب الصاغة القديمة»، و«درب منشّر الجلد»²⁶، و«درب السراجين» نسبة إلى صناعة السروج ولوازم الخيل، و«حارة الرماة»²⁷ بالقرب من مسجد لالة الرّيا، وتعود تسمية هذه الحارة إلى العهد الموحيدي (633.542هـ / 1235.1147م)²⁸.

²¹ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 150.

²² عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 134.

²³ جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 و10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 144.

²⁴ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 81، 82.

²⁵ ابن مرزوق أبي عبد الله محمد التلمساني (ت 781هـ / 1379م)، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، ط 1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2008، ص 180.

²⁶ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 140.

²⁷ ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 275، 277.

²⁸ يجدر بالذكر أنه يوجد بمنطقة «مسيرة» بالذات مفخرة وطنية للفخار، مثلها مثل منطقة ندرومة العريقة في هذه الصناعة، حيث كان عبد المؤمن بن علي ابن فخار شهير، وتعتبر قرية بيدر وباب العسة من أشهر المناطق إنتاجًا للأواني الفخارية إلى يومنا هذا. ينظر: اطمة الزهراء نجاوي، المرجع السابق، ص 172، 173.



وفي فاس هناك حي يطلق عليه « حي الكتبيين »²⁹، أو « سماط الموثقين »، والذي يعرف بسماط العُدول³⁰، وكان في القيروان « حي خاص بالزجاجين »³¹ نسبة إلى صانعي الزجاج، و« درب سوق الأحد »، و« درب الحذائين »³² نسبة إلى صناعة وتجارة الأحذية.

ومعظم الأسواق تتركز في وسط المدينة وتكون موزعة على الساحات والشوارع، كأسواق الطباخين³³، والكتانين³⁴، والصاغة³⁵، والخرازين³⁶، والعطارين³⁷، والصوافين³⁸.

وبعض الأسواق كانت فريدة فلم توجد إلا في قرطبة مثل شارع المرقطال الخاص ببيع الملابس الجاهزة، كما عرفت أسواق الملابس القديمة التي سميت بسوق السقاطين³⁹.

ولعل تعدد الأسواق والأبواب والدروب والأزقة وغيرها، ينم عن تخطيط بناء المدينة بالغرب الإسلامي بالمفهوم الوظيفي لبناء المسجد، باعتباره تكويناً معمارياً رئيساً عامّاً يتوجه إليه من يؤدي الصلاة الجامعة⁴⁰.

²⁹ الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقية، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص232، 233.

³⁰ الجزنائي عبد الكبير الكتاني (ت 1350هـ / 1931م)، زهرة الأس في بيوتات أهل فاس، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، منشورات مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص116.

³¹ محمد محمد زيتونة، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط1، 1988، ص160.

³² المقدسي، المصدر السابق، ص236.

³³ المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: البكوش بشير، مراجعة: المطوي محمد العروسي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص151.

³⁴ ذكر ابن خلدون بيت الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة خلال العهد الحمادي بقوله: « ونشأ ببجاية وسيماً محترفاً بصناعة الخياطة غرّ غمراً ». ينظر: ابن خلدون، كتاب العبروديان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، ج7، دار الفكر، بيروت، ط2، 2000، ص689.

³⁵ المقدسي، المصدر السابق، ص236.

³⁶ عياض القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ / 1149م)، ترتيب المدارك وتقري بالمسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، ج3، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، ص10.

³⁷ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333هـ / 944م)، طبقات علماء إفريقية، تحقيق: محمد بن شنب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دت، ص122، 175.

³⁸ أشار الغبريني إلى تجارة الصوف الجاهز للاستعمال، حيث تعرض لذكر سوق الصوافين أو سوق الصوف. ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص161، 177.

ويراجع: روبر بارونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص416.

³⁹ حسين مؤنس، تاريخ قرطبة في العصر الإسلامي، مصر، 1996، ص30، 33.

⁴⁰ إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1959، ص81.



وعلاقة المسجد بحياة العامة جسدها الأبواب أو المداخل، ومن خلاله نظمت الدور وتفرعت الشوارع الرئيسية باتجاه الأسواق والتجارات والصناعات وباتجاه أبواب المدينة، فذكرت المصادر اتجاه كل الأسواق العامرة نحو المسجد الجامع بمدينة تميرت الرستمية⁴¹، وفي رواية ابن الصغير: «حتى لا داراً إلا قيل هذا لفلان الكوفي، وهذا لفلان البصري، وهذا لفلان القروي، هذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين»⁴²، لكثرة الغرباء والطارئين على المدينة وكثرة المستغلات وأنواع التجارات، وبالقبروان أبواب الحدادين والصباغين والصرافين والرهادنة والفضوليين، لتشابهها من حيث علاقتها بمهن العامة وتجاراتها والأسواق التي تواجدت بها⁴³، وفي مدينة مراكش كانت حوانيتهم محاطة بمسجد أبي يوسف.

3.3. أسماء تكوينات معمارية مختلفة:

أطلقت تسميات حرفية على مكونات النسيج الحضري لمدينة الغرب الإسلامي، إذ نجد أن هناك الكثير من التكوينات المعمارية التي تأثر اسمها باسم الحرف والصناعات التي كانت تقام بالقرب منها، فأخذت أبواب المساجد اسمها من اسم الصناعات والتجارات التي كانت تقام قبالتها⁴⁴، فمثلاً نجد في تلمسان الزبانية كانت هنالك عدة مساجد وحمامات تحمل أسماء العديد من الحرف كـ «جامع الخراطين»⁴⁵، و «جامع الحلفاويين»⁴⁶، و «مسجد حارة الرماة»⁴⁷. وفي مدينة فاس المرينية نجد أبواب جامع القرويين قد أخذ البعض منها تسميات تنسب إلى أنشطة حرفية مورست بالقرب منها كتسمية «باب النطاعين» الواقع بأعلى عقبة السبيطريين نسبة إلى صانعي الجلود وبائعها، و «باب الشماعين» المنسوب إلى سوق الشمع الواقع أمامه، والذي كان مخصصاً لدخول الملوك لإقامة صلاة الجمعة⁴⁸. ومن أبواب جامع القيروان⁴⁹ «باب الصرافين»، و «باب الصباغين»، و «باب الحوارين»، و «باب سوق الخميس»، و «باب اللحامين»، وأما الحمامات فنجد «حمام الصباغين»⁵⁰ الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة تلمسان⁵¹. وأما المدارس فقد أخذت هي الأخرى تسمياتها من الأنشطة الاقتصادية التي أقيمت بالقرب منها، فنجد «مدرسة الصفران» بمدينة فاس التي بناها المرينيون، والتي عرفت أيضاً باسم المدرسة اليعقوبية، وقد حملت هذا الاسم نسبة إلى

⁴¹ المقدسي، المصدر السابق، ص225. البكري، المصدر السابق، ص24.

⁴² ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان، 1985، ص32.

⁴³ البكري، المصدر السابق، ص68.

⁴⁴ المقدسي، المصدر السابق، ص236.

⁴⁵ ابن مريم، المصدر السابق، ص33.

⁴⁶ المصدر نفسه، ص33.

⁴⁷ ابن مرزوق، المصدر السابق، ص154.

⁴⁸ الجزنائي، المصدر السابق، ص105، 108.

⁴⁹ المقدسي، المصدر السابق، ص235.

⁵⁰ ابن مريم، المصدر السابق، ص164.

⁵¹ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص140.



أنها أقيمت بالقرب من السوق الذي تصنع فيه أواني النحاس الأصفر⁵²، بالإضافة إلى «مدرسة العطارين»⁵³، و«مدرسة منشار الجلد»⁵⁴.

بالإضافة إلى المرافق العامة والطرق والقناطر، ففي المغرب الأقصى نجد «راس عقبة الخرازين»⁵⁵، والفنادق ك«فندق الشماعين» بتلمسان وفاس نسبة إلى «سوق الشماعين»⁵⁶، و«قنطرة الصباغين»، و«قنطرة كهف الوقادين»⁵⁷، و«مقابر القصارين»⁵⁸.

4. خاتمة:

نظراً لكون الدراسة قد حفت بالصعوبات المنهجية التي وقفت أمامها في هذا النوع من الحفريات المعرفية، إلا أنها حاولت تعزيز بعض النتائج المتوفرة بثبات المصادر، ومواكبة بعض الأبحاث الجادة في هذا المضمار، غير أنها أكدت على أن الأنشطة الاقتصادية ببلاد الغرب الإسلامي كان لها تأثير كبير على تشكيل الهوية الجغرافية للمكان، وظهر أن إسهام التنظيمات الحرفية والصناعية كان له الفضل في رسم معالم المنظومة الاسمية للأماكن بالغرب الإسلامي. وأن هذه الطوائف والتنظيمات كانت طبقة لها أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية من خلال حركيتها في الواقع بتغطية أسواق المدن في شكل دكاكين وحوانيت صناعية وتجارية، وذلك بحسب عدة اعتبارات ومعايير بداية من وسط المدينة إلى غاية أبوابها، وبإشراف الفقهاء وجهاز الحسبة، هذه الأنظمة التي سهرت على السير الحسن لتلك الأنشطة، فضلاً عن تلبية الحاجيات الاستهلاكية الضرورية.

⁵² الجزنائي، المصدر السابق، ص 111.

ويراجع: أحمد صالح الدليبي وزيتونة محمود حسون، "التأثيرات العمرانية لهجرة أهل الأندلس إلى المغرب من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري"، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع 2، حزيران 2012، ص 239.

⁵³ ابن مريم، المصدر السابق، ص 264.

⁵⁴ المصدر نفسه، ص 230.

⁵⁵ جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (دراسة سياسية حضارية)، دار الوفاء. الاسكندرية، مصر، 2001، ص 224.

⁵⁶ الجزنائي، المصدر السابق، ص 79.

ويراجع: عبد العزيز فيلال، المرجع السابق، ص 136.

⁵⁷ الجزنائي، المصدر السابق، ص 115.

⁵⁸ ابن مريم، المصدر السابق، ص 79.



قائمة المصادر:

- 1 - ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري (ت 578هـ / 1132م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2010.
2. البكري أبي عبيد الله (ت 487هـ / 1094م)، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى بغداد، د.ت.
- 3 — الجزنائي عبد الكبير الكتاني (ت 1350هـ / 1931م)، زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، منشورات مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
- 4 — ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت حوالي 368هـ / 978م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- 5 — ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (ت 776هـ / 1374م)، أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1964.
- 6 — ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973.
- 7 — ابن خلدون أبي زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1405م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط2، 2000.



- 8 — الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت 696هـ / 1296م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تصحيح وشرح: إبراهيم شبوح، ج 2، ط 2، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2، 1972.
 9. ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.
 - 10 — أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333هـ / 944م)، طبقات علماء إفريقية، تحقيق: محمد بن شنب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت.
 - 11 — العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت 749هـ / 1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، القسم الخاص بإفريقيا والمغرب والأندلس، توزيع سوشيريس، المغرب، 1988.
 - 12 — عياض القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ / 1149م)، ترتيب المدارك وتقري بالمسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، ج 3، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
 13. الغبريني أبو العباس أحمد (ت 704هـ / 1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابع بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
 - 14 — المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: البكوش بشير، مراجعة: المطوي محمد العروسي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
 - 15 — ابن مرزوق أبي عبد الله محمد التلمساني (ت 781هـ / 1379م)، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، ط 1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2008.
 16. ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حيًا سنة 1014هـ / 1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشر: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعلبية، 1908.
 - 17 — المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 380هـ / 990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 1991.
 - 18 — المقرئ تقي الدين بن أحمد بن علي (ت 845هـ / 1442م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ج 3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.
 - 19 — الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1983.
- قائمة المراجع:**
1. إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1959.
 - 2 — جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (دراسة سياسية حضارية)، دار الوفاء. الاسكندرية، مصر، 2001.
 - 3 — جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 و 10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.



4. حسين مؤنس، تاريخ قرطبة في العصر الإسلامي، مصر، 1996.
 5. رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
 - 6- زهرة ميلودي، التحولات الطوبونيمية لمدين الساحل بالمغرب الأوسط بين التعريب واختفاء الأسماء القديمة من الفتح الإسلامي إلى غاية القرن 6هـ / 12م، المركز الوطني في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، منشورات المجلس، الجزائر، 2021.
 - 7- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني - دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 2002.
 - 8- ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: السيد محمود عبد العزيز السالم وآخرون، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1990.
 - 9- محمد البركة وآخرون، الطوبونيميا بالمغرب الإسلامي إسهام في ضبط أسماء الأماكن ومقدمات في فهم المنهج والعلائق، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
 - 10- محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال - دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997.
 - 11- محمد محمد زيتونة، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار. القاهرة، ط1، 1988.
 - 12- موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971.
- قائمة المعاجم:**
- أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
- الزقراطي إبراهيم موسى، أسس الأسماء الجغرافية، المركز الجغرافي الملكي الأردني، عمان، 1997.
- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ / 1414م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987.
- المجلس الأعلى للغة العربية، ملامح وحدة المجتمع الجزائري من خلال الواقع اللغوي الأنوماستيكي الطوبونيمي في مجتمع المعرفة، أعمال الملتقى، منشورات المجلس، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711هـ / 1311م)، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.
- هدى محمدي السيد عبد الفتاح، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية للغزاعي، ط1، بلنسية للنشر والتوزيع، مصر، 2008.
- المذكرات والرسائل والأطروحات:
- فاطمة الزهراء نجراوي، الدراسة الايتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة - مقارنة تطورية (منطقة تلمسان أنموذجًا)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017.



المجلات والدوريات:

- أحمد صالح الدليبي وزيتونة محمود حسون، "التأثيرات العمرانية لهجرة أهل الأندلس إلى المغرب من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري"، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع2، حزيران 2012.
- رضوان شهبان، "الطوبونيميا المائية في جنوب ولاية الشلف. قرية العثمانية أنموذجاً"، مجلة الكلم، مج7، ع1، 2022.
- سليمة يحيوي، "الدراسة الواقعية في تحديد الهوية التاريخية الجغرافية للمدن الجزائرية"، حوليات التاريخ والجغرافيا، جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان، ع5، 2012.
- الصادق زيان، "التحولات الطوبونيمية بالمجالات الكتامية من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع 15م. دراسة نماذج"، مدارات تاريخية، مج1، ع4، ديسمبر 2019.
- كريم عاتي لعبي الخزاعي وحارث علي عبد الله، "أنواع الحرف في بلاد المغرب من خلال كتاب المعيار المغرب للونشريسي"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع22، أوت 2015.
- محمد أمين دريس، إشكالية ترجمة الأسماء الواقعية من منظور استراتيجي التدجين (domestication) والتغريب (foreignization) في الترجمة، NO . 2، Jornal of modern languages and literature، جامعة معسكر، vol4، 2012.